

تمهيدا للبحث عن عيد الولاية ومرورا على عيد الأضحى المبارك:

عَلِيٌّ وَ شَيْعَتُهُ هُمْ السَّابِقُونَ إِلَى الْجَنَّةِ الْمُقَرَّبُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِكَرَامَتِهِ لَهُمْ. (الألمالي للمفيد، ص ٢٩٨)

التضحية بالنفس والنفيس بجانب الأضحية

في العام الماضي، وبعد لقائنا بالإمام الخامنئي دام ظله -لقاء عوائل شهداء الدفاع عن المقدّسات- جاء الحاج إلى الفندق الذي كُتبا فيه لكي يلتقي بعوائل الشهداء. خلال ذلك اللقاء، اكتشفت مدى محبّته واهتمامه بأبناء الشهداء، فأردت أن أشكره على هذا اللطف والاهتمام، وما إن أنهى كلامه -وكانت الجموع محتشدة حوله- ناديته بأعلى صوتي: «حاج قاسم، يا حاج قاسم».

التفت إليّ قائلاً: «نعم عزيزتي؟»، فأفسحوا لي المجال واقتربت منه وشكرته، ووقع نظري على خاتمه، قلت له: «حاج قاسم، كم هو جميل خاتمك! هل يمكن أن تعطيني إيّاه؟»، ابتسم وأحنى رأسه إلى الأسفل، ثمّ أصررت عليه قائلة: «ألا تستطيع أن تهديني إيّاه؟»، فنزع الخاتم من إصبعه ولوّح به قائلاً: «سأعطيك الخاتم، ولكن عليك أن تفيه حقّه! قلت إنّك من مشهد، فلتذهبي إلى حرم الإمام الرضا عليه السلام ولتطلبي منه شهادتي. إيّاك أن تنسي ذلك، عليك أن تفي حقّ خاتمي». أخذت الخاتم منه وقد تملّكني الدهول، وحين تنبّهت كان قد سار قليلاً، فتبعته بسرعة وناديته: «حاج قاسم، لا أريد خاتمك؛ لأستطيع أن أدعو بمثل هذا الدعاء، يجب أن تبقى وترفع راية المقاومة عالياً وتحزّر فلسطين». فأجابني: «ما دام محور المقاومة قائماً، فهناك حشود هائلة من المجاهدين الذين يصرون على إكمال هذا الطريق، أنا لم أعد قادراً على أن تنظر عيناى إلى عيون أبناء الشهداء، لم أعد أحتمل أن أرى أبناء الشهداء»...

رافقته حتّى اللحظة الأخيرة، إلى أن ركب سيّارته، وكان يؤكّد عليّ في كلّ لحظة يراني فيها: «زينب، لا تنسي أن تؤدّي حقّ هذا الخاتم! لا تنسي مسألة شهادتي في حرم الإمام الرضا عليه السلام»...

نعم... إنه الشهيد قاسم السليمانى، شهيد من قادة الشهداء الحسينيين

«وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ»

بقلم زينب، بنت شهيد عن المقدّسات



تناقل علماء السنة

بوضوح تلك المكانة العليا

لتفسير الإمام عليه السلام حيث لا يدانيه غيره

من الصحابة، إلا أن بعض عباراتهم تتداخل مرة

وتتعارض أخرى في بيان أثره عليه السلام في التفسير وسعة علمه.

ويمكن بيان ذلك على ناحيتين:

الأولى: شهادته بنفسه على تفردته العلمي

وهذا نستكشفه بما رواه ابن وهب في تفسيره «أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَالَ يَوْمًا وَهُوَ عَلَى الْمُنْبَرِ: سَأَلُونِي، فَإِنَّكُمْ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أُخْبِرْتُكُمْ بِهِ» وهذه الكلمات لم تسمع إلا من شخص النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسمعت من الإمام عليه السلام، وإذا دلت على شيء فهي تحدي واضح من قبله لجميع الناس بأن يعجزه عن جواب مسألة لا يعلمها، هذا بشكل عام.

وبشكل خاص في المجال التفسيري فهو عليه السلام يعطينا بعض أسباب تفردته في هذا المجال بقوله الوارد في طبقات ابن سعد: «والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيما نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت، إِنَّ رَبِّي وَهَبَ لِي قَلْبًا عَقُولًا وَلِسَانًا طَلْقًا»، فعلمه بتفسير القرآن نابغ من تلك الملازمة الطيبة لخاتم الرسل صلى الله عليه وآله وسلم فقد تربي عليه السلام في حجر سيد البشر صلى الله عليه وآله وسلم ولم يفارقه إلى أن رحل الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وهو في حجره صلى الله عليه وآله وسلم وقد حباه الله بما خصه فتكاثرت عنده الكرامات وتمايزت بينه وبين أقرانه الصفات فغار قلبه في مشاهد عظمة الله وتجليات المعرفة الحقة وهو ريب الفصاحة وتلميذ البلاغة.

والرواية ظاهرة بأنه عليه السلام عايش النزول فوعى فيمن نزلت الآيات ولأي سبب كانت، وهذا مما جعله علماء السنة ميزة للصحابة وسببا لعلو قدرهم ووجوب الأخذ منهم، إلا أن معرفة النزول بحد ذاتها لا تُصير العارف بها مفسراً، وإلا لكان جُل الصحابة مفسرين للقرآن الكريم، والواقع أنّ الصحابة كانوا بحدود مائة وعشرين ألف، إلا النزر اليسير منهم يأخذ منه التفسير.

أن القول الصريح ما ذكره خلف عبد الجواد في مدخل إلى التفسير (غير أن ثمة أربعة منهم قامت على أكتافهم مهمة التفسير في جيلهم، ثم تواصلت مهمتهم الطيبة المشكورة حتى امتدت فيما بعد إلى الأمصار الإسلامية، فيما سنعرفه عند الحديث عن مدارس التفسير في عصر التابعين، وهؤلاء الأربعة هم: ابن عباس، وابن مسعود، وعلي

وأبى

رضى

الله عنهم

جميعاً)، والواقع الذي شهد به

الذهبي فقد (جمع عليّ رضي

الله عنه إلى مهارته في القضاء

والفتوى، علمه بكتاب الله، وفهمه

أسراره وخفي معانيه، فكان أعلم

الصحابة بمواقع التنزيل ومعرفة

التأويل، وقد روي عن ابن عباس

أنه قال: «ما أخذت من تفسير

القرآن فعن عليّ بن أبي طالب».

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن

عليّ رضي الله عنه أنه قال: «والله

ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم

نزلت، وأين نزلت، وإن ربي وهب

لي قلباً عقولاً، ولساناً سئولاً».

وهذا يرشدنا إلى أن الحالة العامة

التي ترتبت للصحابة لم تصمد

أمام الانحسار في التفسير على

بعض الصحابة، ثم إن هؤلاء

البعض انتخبوا علياً عليه السلام

مصدراً لهم بعد القرآن الكريم

والسنة المطهرة، فابن عباس

الذي لقب بـ(ترجمان القرآن) بهذه

الرواية شهد أن ما عنده فهو

من فيوضات إمام

التفسير علي

بن أبي طالب

عليه السلام ذلك واضح من

تصريحه «ما أخذت من

تفسير القرآن فعن عليّ بن

أبي طالب».

الثانية: نزرة رواية التفسير للخلفاء الثلاثة

فهنا التناقض واضح لا يحتاج

لمزيد بحث وتقصي بأن علماء

السنة عدوا ممن اشتهر بالتفسير

الخلفاء الأربعة إلا أنهم يعقبون

على كلامهم بأن الرواية من

الخلفاء الذين سبقوا علياً عليه السلام نزرة

جداً وعللوا ذلك بأمر لا تخرج

ندارة رواياتهم في التفسير عن

صلب الأمر.

فأكثر من روي عنه من الخلفاء

الأربعة علي بن أبي طالب، والرواية

عن الثلاثة نزرة جداً، فادعاء

الاشتهار بالرواية يناقضه الانحسار

على بعض الروايات كقول ابن

العثيمين في مقدمته (اشتهر

بالتفسير جماعة من الصحابة، ذكر

السيوطي منهم: الخلفاء الأربعة

أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً رضي

الله عنهم، إلا أن الرواية عن الثلاثة

الأولين لم تكن كثيرة، لانشغالهم

بالخلافة، وقلة الحاجة إلى النقل

في ذلك لكثرة العالمين بالتفسير)



والشيخ محمد جواد مغنية والسيد موسى آل بحر العلوم وغيرهم، فقال السيد محسن الحكيم عن هذا الكتاب: «وأنصح الجميع أن يدرسوا هذا الكتاب على ضوء العقل والفطرة؛ ليسمعوا الحقيقة من صوت العدالة الإنسانية، ويتأثروا بروحه».

وقد حاز هذا الكتاب جائزة «أحسن من كتب عن الإمام عليه السلام» ورشحته لهذه الجائزة لجنة كان ضمنها الفيلسوف الشهيد محمد باقر الصدر.

طبعت موسوعة «الإمام علي عليه السلام صوت العدالة الإنسانية» لكتابها جورج جرداق في خمسة مجلدات، وأضيف لها فيما بعد ملحق لتصبح ستة أجزاء. **معرفته بالإمام علي عليه السلام**

كان شقيق جورج الأكبر - فؤاد - علامة لغوي متميز، فأهداه في صغره نسخة من كتاب «نهج البلاغة» لعلي بن أبي طالب عليه السلام، وبذلك منحه الفرصة التي كان يحتاج إليها ليؤلف موسوعة حول شخصية تاريخية مثيرة للاهتمام. وهكذا بدأت حكاية هذه السلسلة. فبعد ما قرأ نهج البلاغة أعجب به، حيث حفظ أكثر من ٧٠ بالمئة منه على ظهر قلب، وبدأ يفكر في مشروع عالمي حول الإمام عليه السلام يقدم من خلاله شخصيته بطريقة مختلفة، لذا أعاد قراءة نهج البلاغة أكثر من أربعين مرة، خلال تأليف الموسوعة.

من هو

جورج جرداق

الكاتب والأديب

المسيحي جورج جرداق

درس في الكلية البطريركية

وتخرج منها. فعمل مدرّسا

للأدب العربي والفلسفة العربية

في عدد من كليات بيروت وكتب

أدبي و صحافي.

المدح والجوائز

مدح الكثيرون من المهتمين بسيرة الإمام علي عليه السلام هذه الموسوعة، منهم: السيد عبدالحسين شرف الدين

الإمام علي عليه السلام

فَمَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ

ابن أبي الحديد المعتزلي والإمام علي عليه السلام

وأشار في موضع آخر إلى موقفه من أصحاب الجمل بقوله: «وأما القول في البغاة عليه - عليه السلام - والخوارج فهو على ما أذكره لك. أما أصحاب الجمل فهم عند أصحابنا هالكون كلهم إلا عائشة وطلحة والزبير فإنهم تابوا، ولو لا التوبة لحكم لهم بالنار لإصرارهم على البغي». «وأما عسكر الشام بصفين فإنهم هالكون كلهم عند أصحابنا لا يحكم لأحد منهم إلا بالنار لإصرارهم على البغي وموتهم عليه رؤسائهم والأتباع جميعاً».

«وأما الخوارج فإنهم مرقوا عن الدين بالخبر النبوي المجمع عليه ولا يختلف أصحابنا في أنهم من أهل النار». ثم قال: «وجملة الأمر أن أصحابنا يحكمون بالنار لكل فاسق مات على فسقه ولا ريب في أن الباغي على الإمام الحق والخارج عليه بشبهة أو بغير شبهة فاسق».

ومن أشهر ما نظم،
القصيدة العينية
المشهورة
والتي أنشدها

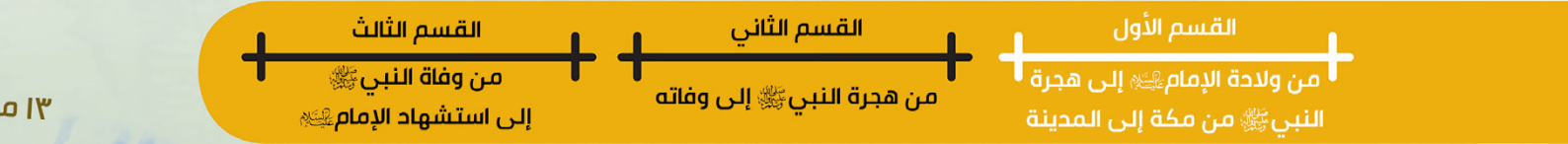
في مدح علي عليه السلام
وقد خط بعض أبياتها
على أطراف ضريح الإمام عليه السلام
بماء الذهب ويعتبر من أجمل
القصائد في مدح الإمام ومطلعها:
قد قلت للبرق الذي شقّ الدجى

فكأن زنجيا هناك يجدغ
ويذهب فيها إلى ما هو بديع في
أتباع مدرسة الخلافة إذ يقول:
وإليه في يوم المعاد حسابنا
وهو الملاذ لنا غداً

يذهب ابن أبي الحديد انطلاقاً من مذهب الاعتزال إلى تفضيل أمير المؤمنين عليه السلام على سائر الخلفاء بما فيهم الخلفاء الثلاثة، حيث قال: «وأما نحن فنذهب إلى ما يذهب إليه شيوخنا البغداديون من تفضيله عليه السلام وقد ذكرنا في كتبنا الكلامية ما معنى الأفضل، وهل المراد به الأكثر ثواباً أو الأجمع لمزايا الفضل والخلال الحميدة؟ وبيننا أنه عليه السلام أفضل على التفسيرين معاً». ومع ذلك لا يرى وجوب كون الحاكم هو الأفضل، ومن هنا نراه يصرح بذلك بقوله: «الحمد لله الذي قدم المفضل على الأفضل لمصلحة اقتضاها التكليف».

مَدْحُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ

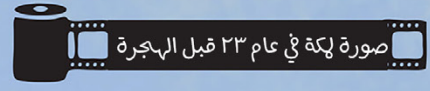
أبيات الباب



فقرات مهمة من

القسم الأول

حياة الإمام علي عليه السلام



١ ميلاد الإمام علي عليه السلام في الكعبة:

قالت فاطمة بنت أسد عليها السلام (أم الإمام) عند المخاض: يا رب، إنني مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإنني مصدقة بكلام جدِّي إبراهيم الخليل، وأمه بنى البيت العتيق، وبحق الذي بنى هذا البيت، وبحق المولود الذي في بطني إلا ما يسرت علي ولادتي. فانشق البيت ودخلت فاطمة عليها السلام فيه.

٢ الترعع في بيت النبي صلى الله عليه وآله

يقول الإمام عليه السلام: وَلَقَدْ كُنْتُ أَتْبَعُهُ أَتْبَاعَ الْفَصِيلِ أَنْبَرِ أُمَّهِ يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عِلْمًا وَيَأْمُرُنِي بِالِاقْتِدَاءِ بِهِ.

٤

مصاحبة علي عليه السلام النبي صلى الله عليه وآله في غار حراء:

يقول الإمام عليه السلام: وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحَرَاءِ، فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي ... وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ صلى الله عليه وآله فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الرَّنَةُ، فَقَالَ هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ آيَسَ مِنْ عِبَادَتِهِ، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى، إِلَّا أَنْكَ لَسْتَ بِنَبِيِّ وَلَكِنَّكَ لَوْزِيرٌ، وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ.

٣

٥

إتتمام عليه السلام وخ عليها السلام بد عليها السلام في الد

٢٣ من عمره

ليلة المبيت

٢٠ من عمره

وفاة والده

١٧ من عمره

شعب أبي طالب

١٦ من عمره

الأقربين

السنة الأولى من الهجرة

أداء أمانات الناس وديون النبي ﷺ وترحيل الفواطم من مكة إلى يثرب.

إذ أقام ثلاثة أيام صارخاً بالأبطح: ألا من كان له قبل محمد أمانة أو ودعة فليات فلنؤد إليه أمانته. ثم أخذ يسوق قافلة الفواطم بنفسه وحين اعترضت قريش طريقه واجههم بسيفه، فكان يسير ليلاً ويختبئ نهاراً، حتى التقى رسول الله ﷺ في قبا وقد تغطرت قدماه، فبكى النبي ﷺ ومسح بيده الشريفة على قدمي الإمام فلم يشكهما بعد ذلك.

علي ﷺ في فراش النبي ﷺ

إذ برق الفجر من ليلة المبيت، هجم مشركو قريش غرفة النبي ﷺ من أجل قتله وقد انتصوا السيوف، ووثبوا إلى الحجرة، وقصدوا الفراش، فوثب علي ﷺ في وجوههم، فأقبلوا عليه يضربونه، فأخرجوه وحبسوه في المسجد الحرام، وضربوه حتى كادوا يقتلونه، فأحبط مؤامرتهم.

وفاة أبي طالب، أبي علي ﷺ في مكة المكرمة بعد الخروج من شعب أبي طالب

لما وافته المنية جمع إبنه علياً و جعفر وأخويه عباساً وحمزة وأوصاهم بنصرة النبي ﷺ.

إعلان النبي علياً ﷺ وصياً ووزيراً وخليفة من بعده في إنذار الأقربين (الدعوة الصغرى)

حضوره في شعب أبي طالب ثلاث سنوات ناصرًا النبي محمد ﷺ

علي ﷺ كان دائماً بجانب النبي ﷺ ويحرسه. ذكر ابن أبي الحديد: وكان أبو طالب ... فإذا أخذ الناس مضاجعهم، واضطجع النبي ﷺ على فراشه، وراه جميع من في الشعب، ونام الناس جاء وأقامه، وأصغ ابنه علياً مكانه.

الإمام علي عليه السلام في صلاة النبي ﷺ في المسجد الحرام



٧

مترجم من حوار متلفز مع سماحة آية الله السيد محمد مهدي ميرباقرى دامت بركاته

المجتمع الجاهلي وأولياء الطاغوت

تأسس على حديث العقل والجهل، فإن جميع صفات العقل موجودة لدى من يدركون حقيقة الولاية، أي الأنبياء والمؤمنون الممتحنون الحاملون للولاية، وحتى إنه ورد في تلك الرواية بأن جميع المؤمنين لا يملكون جميع الصفات النورانية حتى يصلوا إلى التبرّي الكامل.



وإن وصلوا إلى التبرّي ولم يكونوا في أي صفة من الصفات متمسكين ومتولين بأولياء الطاغوت وأعداء النبي الأكرم ﷺ، فعندها يصبحون في مقام الأنبياء والعباد الممتحنين ويدركون حقيقة الولاية. لذلك يبدو أن الضلال والكفر والنفاق الموجود في المجتمع الجاهلي هو استمرار لضللال وكفر ونفاق أولياء الطاغوت. وبقدر ما يتمسكون بتلك الولاية يصبحون في الضلال والكفر والنفاق ويصبح هؤلاء جنود أولياء الطاغوت، لكن البعض يبقى فقط في مقام الضلال، والبعض في مقام الكفر

والبعض الآخر في مقام النفاق. فإن المقصود في الرواية المذكورة من الجاهلية، ليست الجاهلية الظاهرية المحدودة بزمان وإطار اجتماعي، بل المقصود هو جاهلية شاملة وأثقل بكثير. وهذه جاهلية ولاية أولياء الطاغوت.

لذلك، فإن عزّنا الحياة الطيبة بمحيط ولاية الله وعزّنا ولاية المعصومين ونور الهداية بمحيط ولاية المعصومين، فإن النقطة المقابلة لها أي الضلال والكفر والنفاق هي آثار ولاية أولياء الطاغوت. لذلك فإن تيار أولياء الطاغوت هو بداية هذا الأمر.

الجاهلية وتأسيس الحضارة

أيما حل تيار ولاية الطاغوت، فهناك الجاهلية، وهذه الجاهلية تجد طبعاً شرح صدر في الكفر، وتقوم ببناء الحضارة وتطور مدنيّتها.

آثار الجاهلية

إن أول ما تقوم به الجاهلية هو أن تدعو الإنسان إلى ذاته وفي مقابل الله تعالى. إن حقيقة الولاية الحقّة والحياة الطيبة والنور ما هي إلا دعوة إلى عين الحقيقة وحضرة الحق. وهذه الولاية، تجعل الإنسان يتجاوزها ليصل إلى الله المتعال. وجاهلية أولياء الطاغوت مهمتها أن تدعو الإنسان إلى الاستكبار على الله. وقد ورد في حديث العقل والجهل:

«إِنَّ اللَّهَ جَلٌّ ثَنَّاؤُهُ خَلَقَ الْعَقْلَ ... فَقَالَ لَهُ أَقْبِلْ فَأَقْبَلَ ثُمَّ قَالَ لَهُ أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ؛

وقال حول الجهل:

«ثُمَّ خَلَقَ الْجَهْلَ ... فَقَالَ لَهُ أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ ثُمَّ قَالَ لَهُ أَقْبِلْ فَلَمْ يُقْبَلْ فَقَالَ لَهُ

اشْتَكَبَرْتَ فَلَعَنَهُ»؛

إنه لا يطيع، بل مهمته الاستكبار وقال له الله تعالى:

«اشْتَكَبَرْتَ فَلَعَنَهُ»

إن مهمته مرتبطة بالاستكبار. لذلك فإنه يدعو الإنسان إلى الاستكبار على الله، أي الاهتمام بذاته، وقيم لنفسه كبرياء وعزة. ويبدو لي أن جميع هذه الحالات تم توضيحها في الخطبة «القاصعة» للإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام وهو تبيان حقيقة التوحيد ونسبته بالولاية. والنقطة المقابلة له هو ولاية إبليس وموضوع الضلال. لذلك فإن ما يحدث في عصر الجاهلية هو أن أولياء الطاغوت يدعوننا إليهم. وعندما يدعون إليهم، يحصل الاستكبار على الله، فيبعدنا الله سبحانه وتعالى عن محيط رحمته وولايته. إن محيط الرحمة هو محيط ولاية المعصوم عليه السلام. في قوله تعالى:

«وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ»؛

وعندما يرى الله سبحانه وتعالى استكبارا في مقابله، يخرجنا من محيط رحمته. وعندما نخرج من محيط ولاية الله، فعندها يتحول ذلك المحيط إلى ولاية أولياء الطاغوت. إن المؤشر الرئيس للجاهلية هو الدعوة إلى نفسها، الاستكبار على الله. وهذا الاستكبار، يتجسد في أشكال مختلفة، فيمكن أن يكون في سياق المذهب الإنساني المعقد للقرن الحادي والعشرين أو سياق أنانية الذات لعصر الجاهلية العربية، ولا يفرق، أي إن الجاهلية الأوروبية الحديثة لا تختلف عن الجاهلية القديمة في «الجزيرة العربية» من حيث أن كليهما قائمتان على التفرعن وكليهما تتشكلان تحت ولاية أولياء الطاغوت. فكلتاها

يتشكل على أرضية الصفات الرذيلة والتلذذ والابتهاج بالنفس وعبادة الذات، والدعوة يتوسع نطاقها طبعاً، وتجد لها شرح صدر في الكفر، وتحدث المدنية والحضارة المعقدة ويتأسس المجتمع المدني وإلزاماته. إن إلزامات المواطنة الحديثة لا تعني الخروج من الجاهلية، فكلها تتمثل في الدعوة إلى الذات والدعوة إلى الدنيا والحياة الفانية ولا شئ آخر. وكل هذا يضرب بجذوره في الدعوة إلى الاستكبار على الله. لذلك فإن المؤشر الرئيس للجاهلية، هو الاستكبار والمؤشر الرئيس للخروج من الجاهلية هو السجدة لله الخالق.

ولاية الإمام ومقام التوحيد

إن الوصول إلى مقام التوحيد وهو يجمع الحياة الطيبة والولاية والنور والهداية، لا يقع إلا بولاية الإمام وولاية الله وإن الخروج من التوحيد يقع بولاية أولياء الطاغوت الذين يدعون الإنسان إلى الاستكبار. وهذا هو ميدان الجهاد الأكبر حيث يدعونا المعصوم عليه السلام إلى العبودية وحيث فيه الحياة الطيبة والنور والروح والراحة والفضل والفلاح والرضوان وكل شئ، فيما يدعونا إبليس وأولياء الطاغوت إلى الاستكبار على الله. وعندما يقع الاستكبار على الله، يتجمع المستكبرون ويقودهم أمام المستكبرين وبينون الحضارة والمدنية المعقدة، لكن هذا لا يعني الخروج من الجاهلية، أي إن عبادة الذات هي الوثنية وعبادة الأصنام سواء حدثت في اطر بسيطة أو هيكلية حديثة.

العلاقات الجاهلية

جميع العلاقات السياسية والثقافية والاقتصادية التي تبلور بمنأى عن الله وولاية الله، هي علاقات جاهلية حتى وإن

كان لها ظاهر حديث، إن هذه الجاهلية ليست جاهلية «الجزيرة العربية». أولاً: إن ما أدى إلى تسمية ذلك العصر بالجاهلية، هو الإعراض عن الله تبارك وتعالى. وبناء على ذلك فإن الناس الذين يعيشون عيشة بسيطة لكنهم موحدون، ليسوا جاهلين ومن أهل الجاهلية. لذلك يمكن القول بأن الخروج من الجاهلية يقع على أساس إدراك حقيقة التوحيد ومراتب التوحيد فيما تعتبر الجاهلية سير في درجات الاستكبار.

ثانياً: إن السير في درجات الاستكبار يقع مع ولاية أولياء الطاغوت وأمام المستكبرين وأئمة الاستكبار لكن السير في درجات القرب يقع مع أئمة النور. لذلك فإن إدراك حقيقة ولاية الأئمة عليهم السلام هو الخروج من الجاهلية وهذا الخروج مستمر أي إنه يسير على الدوام من الجاهلية نحو المعرفة ومن الجهل نحو العقل ومن الاستكبار نحو العبودية. وبتعبير القرآن الكريم:

«اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ»؛

وهذه الولاية هي ولاية تجلب السير في النور باستمرار. وفي المقابل: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ»؛ وهذا سير تدريجي، وهذا السير التدريجي يحدث ظلمات أكثر تعقيدا وتفرعا يتسم بشرح الصدر، اسمه فرعونية الذات.

الجاهلية الفردية والجاهلية الاجتماعية

ما عدا الحياة الفردية، للإنسان حياة اجتماعية أيضا. وهذا مبحث جاد وواسع النطاق وهو من البحوث الجوهرية في المجتمع. وإن سلمنا بأن ثمة حياة

اجتماعية للإنسان، فيجب أن تنور حياته الفردية فضلا عن حياته الاجتماعية، بنور الولاية. وهذا معناه بأن المجتمع يجب أن يتشكل حول محور الإمام عليه السلام. بحيث تتبلور جميع مقومات وشؤون الحياة الاجتماعية على أرضية التولي بولاية الله وولاية الإمام المعصوم عليه السلام. وهذا معنى تحقق التوحيد في الحياة الاجتماعية للإنسان.

وهذا يتطلب أن تقوم مجمل العلاقات الاجتماعية أي التوافق والتناغم الفكري والتعاون وبناء الهيكليات الاجتماعية والعقلانية الاجتماعية وكل ذلك على أساس التعاون على البرّ وأمر الولاية. فإن كانت جميع شؤون الحياة الاجتماعية للإنسان تتجسد في موضوع ولاية الله فإن حياته الاجتماعية تستنير بنور ولاية الله وإلا إن كان الإنسان في مجال الحياة الباطنية، يتولى بولاية الله لكنه ليس كذلك في الحياة الاجتماعية، فإنه لا يصل إلى الولاية في حياته الاجتماعية. فالناس الذين لا يصلون إلى الولاية في حياتهم الاجتماعية، هم فئتان:

فئة تتبع الإعراض والتبرّي عن ولاية الباطل لكن أجواء حياتها الاجتماعية مدنسة بالظلمات.

والفئة الأخرى من الناس يتولون في حياتهم الاجتماعية بولاية الباطل. والنقطة الأساسية تكمن في أنه إن نظر الإنسان إلى الخير بالطلق في الله ويعتمد عليه بالطلق ولا يرى سوى الشرّ في أولياء الطاغوت، فإنه سيبقى سليما. لذلك فإنه ان وقع في اجواء الباطل فإن لديه نور الإمام، رغم أن المجتمع لم يتخلق بعد بصورة كاملة حول الإمام،

لكن هذا المجتمع يتشكل شيئاً فشيئاً، حتى نصل إلى عصر الظهور، إلا أن الكفر يوصل مجتمعه إلى مرحلة شرح الصدر ويملاً جميع مجالات الحياة. «بَعْدَ مَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجُورًا».

فالإنسان الذي يعيش هذه الظروف، إن أعرض عن هذه الولاية، لن يواجه الظلمات. وسبب تاكيدهم لنا على اللعن يكمن في هذا الشيء. وهذه هي اللعنة التي يلعنهم الله بها ويخرجهم من الرحمة. ويجب أن نعتمد هذه اللعنة لكي لا تشملنا ظلماتهم.

فإن كان هذا اللعن والتبرّي وهذا الاصطفاف وما يتبعه من قتال أو اشتباك، فإن هذا الإنسان لا يستسلم للولاية الباطلة ولا ينصهر في الحياة الاجتماعية للولاية الباطلة، وبخلاف ذلك فإن قبل حياتهم الاجتماعية، فهذه ستكون نقطة البداية. لأنه كما قلنا، نقطة البداية هي أن يرى الإنسان هناك خيراً ويقول بأن حضارتهم ورفاهيتهم جيدة، وهذا يؤدي إلى أن يحصل على التولّي لأنه عندما يرى الإنسان شيئاً بصورة جميلة، فإنه يطلبه ويلجأ إلى التولّي تجاهه. وهذا اللعن والبراءة هما من أجل ألا يرى الإنسان جماليتهم، لأنهما لا يملكان جمالية أساساً. فإن كان الإنسان هكذا، فإنه سيكون قادراً على رؤية عصر الحياة الاجتماعية المستنيرة بنور ولاية الإمام وأن يعود ثانية.

والنقطة الأخرى هي أن السير نحو تلك الحياة الاجتماعية يتم بصورة تدريجية وهذا التدرج هو من أجل أن تحصل أولاً الاستقطابات ومن ثم الصراع السياسي والثقافي والاقتصادي الشامل. فعلى المؤمن أن يقاتل في جميع الميادين،

الحرب الثقافية والاقتصادية والسياسية. إن الصراع الشامل بين جبهة الحق والباطل هو الذي يُنشئ شيئاً فشيئاً أرضية تحقق النظام الاجتماعي حول محور الإمام عليه السلام.

الإمام الخميني رحمته الله وقضية الولاية

لذلك فإن أصبحنا فقط في حياتنا الباطنية مستنيرين بنور ولاية الله وأن نقبل بهذه الولاية فهذا لا يكفي حسبما يقول بعض العرفاء. إنني أرى امتياز الإمام الخميني رحمته الله قياساً بباقي العرفاء في هذا الموضوع، بحيث أن الحمية التي كان يملكها الإمام تجاه ولاية الله، أوصلته إلى درجة من البلوغ في إدراك ولاية الله بحيث أنه كان يريد إدخال هذه الولاية في الحياة الاجتماعية للإنسان، لذلك كان يقول:

طالما كان الشرك والكفر قائمين، فإن النضال قائم وطالما لا ترفع راية التوحيد على جميع القمم الرفيعة في العالم، فإن النضال قائم وطالما كان النضال قائماً فإننا موجودون.

وبتقديري، فإن الفارق بين الإمام وسائر العرفاء يكمن في هذا، أنه كان يريد أن تسري حقيقة الولاية الحقة على مقياس الحياة الاجتماعية. وكما أن عارفاً ما يرى أن مهمته تكمن في قيادة الأنفس بنور ولاية الله و نور ولاية الإمام، فإن عارفاً متكاملاً وجامعاً يجب أن يجعل مهمته تنوير الحياة الاجتماعية بنور ولاية الله. ونحن نقرباً أن الدين، لا يختزل في الشريعة فقط. إن باطن الدين هو الولاية والتوحيد والأذكار والآداب. لكن هل إن هذا الباطن يجب أن يسري فقط في ميدان الحياة الفردية أم أنه يجب أن يتحقق في ميدان الحياة الاجتماعية والتاريخية؟



قائد الثورة الاسلامية الإمام الخامنئي - كانون الثاني / ١٩٩٩:

عبّرت آثارنا الإسلامية عن يوم الغدير بتعايير من قبيل «عيد الله الأكبر»، و«يوم العهد»، و«يوم الميثاق المأخوذ» وهو ما يعكس وجود اهتمام وتأکید خاص لهذا اليوم الشريف، وأهم ما يميّز هذه التعابير هو موضوع **الولاية**. إن الضمانة الوحيدة لتطبيق أحكام الإسلام هو وجود **الحكومة الإسلامية المؤمنة بسيادة أحكام القرآن**، وإلا فحتى لو كان لسائر أفراد المجتمع مؤمنون وعقائديون، لكن زمام الأمور - سواء في مرحلة التشريع أم في مرحلة التنفيذ - بيد الآخرين، فسيبقى تطبيق أحكام الإسلام رهينا بمدى إنصاف الممسكين بزمام الأمور، فإن كانوا مجانين للإنصاف يحلّ بالمسلمين هناك كالذي تشاهدونه اليوم في كوسوفو، وشاهدتموه بالأمس في البوسنة والهرسك... أما إذا كان لدى الحكام شيء من الإنصاف فهم يسمحون للمسلمين بمراعاة بعض أحكام الإسلام في إطار دائرة بيوتهم، أو على أكثر الاحتمالات ضمن دائرة الحارة والمحلّة، ولكن بعيداً عن **التطبيق الكامل لأحكام الإسلام**.